قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني

سعد بن عبادة- سيد الخزرج

المحتويات

سيد الخزرج..... 3
سعد بن عبادة الجواد الكريم..... 4
سعد، في بيعة العقبة..... 6
قريش تكشف أمر العقبة..... 7
سقوط سعد في يد قريش..... 8
من أخلاق الجاهلية..... 10
سعد في غزوة بدر..... 11
سعد في غزوة الخندق..... 12
سعد يوم فتح مكة:..... 13
مناقب سعد..... 14
سعد والغيرة:..... 16
سعد بن عبادة وأمه..... 18
سعد بن عبادة وابنه قيس..... 19
قيس بين الكرماء..... 23
صراحة سعد بن عبادة..... 24
موقف سعد من بيعة أبي بكر..... 27
كلمة أخيرة (الغيرة)..... 29

هو السيد الكبير الشريف، سعد بن عبادة بن حارثة، أبو قيس، أحد النقباء، وسيد الخزرج، وصاحب راية الأنصار، وهي الراية التي كان إذا اشتد القتال يقاتل رسول الله تحتها.

كان شريفا مطاعا سيدا جوادا ذا سيادة، يعترف قومه له بها، وكان يعرف بالكامل لأنه كان يجيد الرمي والسباحة والكتابة.

ولما قدم النبي ﷺ المدينة كان سعد رضي الله عنه يبعث إليه كل يوم جفنة من ثريد اللحم أو ثريد اللبن أو غيره، فكانت جفنة سعد تدور مع الرسول في بيوت أزواجه.

وسعد بن عبادة هو صاحب وليمة عرس فاطمة الزهراء على الإمام على رضى الله عنهما.

وكان رسول الله ﷺ إذا أمسى قسم أهل الصفة – فقراء المسلمين الذين لا يستطيعون العمل – بين ناس من أصحابه، فكان الرجل يذهب بالرجل والرجلين، والرجل يذهب بالثلاثة.. وكان سعد بن عبادة رضي الله عنه يرجع كل يوم إلى أهله ومعه ثمانين من أهل الصفة يعشيهم.
وهذا الكتيب يجمل بعض شمائل سعد بن عبادة سيد الأنصار.

ولد سعد في بيت كرم، وتربى على الكرم، وربى أبناءه على الكرم، وهذا واضح في حياته، فسعد بن عبادة وعدد من آبائه وأجداده في الجاهلية كان ينادي على موائدهم: **من أراد الشحم واللحم فليأت مائدة دليم بن حارثة جد سعد بن عبادة.**

ثم صار ينادي على مائدة عبادة بن دليم، يقول عروة بن الزبير أدركت سعد بن عبادة وهو ينادي: من أحب شحما ولحما فليأت سعد بن عبادة ثم أدركت ابنه قيس بن سعد وهو ينادي: من أحب شحما ولحما فليأت قيس بن سعد، حتى قالوا: إنه لم يكن في الأوس والخزرج أربعة مطعمون متتاليون في بيت واحد إلا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم. بل قالوا: إنه لم يكن ذلك في أي بيت من بيوت العرب قاطبة إلا في بيت سعد بن عبادة، وبيت عمرو بن عبد الله بن صفوان بن أمية بن خلف، وهؤلاء كانوا خمسة من المطعمين متتاليين.

وقد ورد في السيرة أنه في غزوة الغابة خرج رسول الله ﷺ وترك سعد بن عبادة في ثلاثة مئة من قومه يحرسون المدينة، وكان مع رسول الله قيس بن سعد بن عبادة، فبعث سعد بن عبادة إلى النبي بأحمال تمر وبعشر جزائر" ذبائح". فقدم قيس بن سعد بالتمر والذبائح إلى رسول الله فقال ﷺ : يا قيس، بعثك أبوك فارسا، وقوى المجاهدين وحرس المدينة.

اللهم ارحم سعدا، وآل سعد. نعم المرء سعد بن عبادة

فأحست الخزرج بالفخر والزهو فتكلموا وقالوا: يا رسول الله، هو نقيبنا وسيدنا وابن سيدنا، كان وآباؤه يطعمون في المحْل " المجاعة " ويحملون في الكل " التعب" ويُقْرون الضيوف ويعطون في النائبة ويحملون عن العشيرة فقال ﷺ :

النَّاسُ معادِنٌ: خِيارُهُم في الجاهِليَّةِ خيارُهُم في الإسْلامِ إذَا فَقِهُوا. صحيح البخاري

ولذلك كان سعد بن عبادة يقول في دعائه:

اللهم ارزقني مجدا.. وارزقني حمدا.. اللهم ارزقني مالا فإن الفعال لا تصلح إلا بالمال..

اللهم إنه لا يصلحني القليل ولا أصلح له ولا يصلحني إلا الكثير ولا أصلح إلا عليه.

وأرسل سعد بن عبادة لرسول الله ﷺ بصحفة مملوءة مُخا، فقال: يا أبا قيس ما هذا؟ قال سعد: لقد نحرت أربعين جزورا فأردت أن أشبعك من المخ، فأكل النبي ودعا له بخير.. ولما سمعت الخيزران – أم هارون الرشيد – بهذا الحديث قسَّمت قسما من مالها على أحفاد سعد بن عبادة، وقالت:

أكافئ سعد اً على فعله برسول الله ﷺ .

كان الأنصار يعدون بيعة العقبة الثانية أكبر عندهم من يوم بدر، ففيها تعاقدوا مع رسول الله ﷺ على نصرته وعلى حرب الأحمر والأسود.

يحكي كعب بن مالك وهو أحد من شهد هذا اليوم قصة العقبة فيقول (القصة كاملة في صحيح البخاري ويمكن مراجعتها في الكتيب الخاص بنقباء الأنصار): خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِالْعَقَبَةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيّامِ التّشْرِيقِ، فَلَمَّا فَرَغْنَا مِن الْحَجِّ وَكَانَتِ اللَّيْلَةُ التِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ لَهَا، فَنِمْنَا تَلِك اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمِيعَادِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلاً، وَامْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا، نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ أُمُّ عُمَارَةَ، إحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيّ بْنِ نَابِي أُمُّ مَنِيعٍ، إحْدَى نِسَاءِ بَنِي سَلِمَةَ. فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إلا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ (وتفاصل ذلك في الكتيب الخاص بنقباء الأنصار).

فلما بايع رسول الله ﷺ الأنصار صرَخَ الشيطانُ عند رأسِ العقَبةِ بأعلى صوت: يا أهلَ الجَبَاجِبُ – المَنازِلُ– هل لكم في مُذمَّمٍ (يقصد سيدنا محمد) والصُّبَاةِ (يقصد المسلمين) معه؟ قد أجمَعُوا على حَرْبِكم، فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: هذا شيطان العقَبةِ، ارجعوا إلى رِحالِكم.

فقال العبَّاسُ بنُ عُبادةَ بنِ نَضْلةَ: والذي بعَثَكَ بالحقِّ، لئنْ شِئْتَ لَنُمِيلَنَّ على أهلِ مِنًى غدًا بأسيافِنا، قال: فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: لم أُؤمَرْ بذلك، ارجعوا إلى رحالكم، فرجَعوا وناموا حتى أصبحوا.

يقول كعب بن مالك: فلمَّا أصبَحْنا، غدَتْ علينا جِلَّةُ قُرَيشٍ حتى جاؤُونا في مَنازِلِنا، فقالوا: يا مَعشَرَ الخَزْرجِ، إنَّه قد بلَغَنا أنَّكم قد جِئْتُم إلى صاحِبِنا هذا تَستخرِجونه مِن بَيْنِ أظهُرِنا، وتبايِعُونه على حَرْبِنا، واللهِ، إنَّه ما مِن العرَبِ أحدٌ أبغَضَ إلينا أنْ تَنشَبَ الحربُ بَيْنَنا وبَيْنه منكم، قال: فانبعَثَ مَن هنالك مِن مشرِكِي قَوْمِنا، يَحلِفون لهم باللهِ ما كان مِن هذا شيءٌ، وما عَلِمْناه، وقد صدَقُوا؛ لم يَعلَموا ما كان منَّا، قال: فبعضُنا يَنظُرُ إلى بعضٍ.

فلما تفرق الحجيج فتشت قريش عن الأمر فوجدوه حقاً، فانطلقوا في طلب القوم، فأدركوا سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو، وكلاهما كان نقيباً لبني ساعدة من الخزرج. فأما المنذر فأعجز القوم، وأما سعد فأخذوه فربطوا يده إلى عنقه، ثم أقبلوا به حتى دخلوا مكة يضربونه ويجذبون شعره وكان ذا شعر كثير، فظلوا يضربونه حتى احمر وجهُه من كثرة الضرب.

يقول سعد بن عبادة:

فو الله إنّي لَفِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فِيهِمْ رَجُلٌ وَضِيءٌ أَبْيَضُ، شَعْشَاعٌ، حُلْوٌ مِنْ الرِّجَالِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: إِنْ يَكُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ الْقَوْمِ خَيْرٌ، فَعِنْدَ هَذَا، قَالَ: فلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَكَمَنِي لَكْمَةً شَدِيدَةً. قَالَ: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا وَاَللَّهِ مَا عِنْدَهُمْ بَعْدَ هَذَا مِنْ خير.

وبينما هو يضرب ظهرت صورة من شهامة ومروءة العربي وشمائله يحكيها سعد فيقول: فو الله إنّي لَفِي أَيْدِيهِمْ يَسْحَبُونَنِي إِذْ غمزنى رَجُلٌ منهم، فَقَالَ وَيْحَكَ! أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ جِوَارٌ وَلَا عَهْدٌ؟ قُلْتُ: بَلَى، وَاَللَّهِ، لَقَدْ كُنْتُ أُجِيرُ لِلمُطْعِمِ بْنِ عَدِيّ وللحارث بن حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ تِجَارَتهم، وَأَمْنَعُهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ ظُلْمَهُمْ بِبِلَادِي، قَالَ: وَيْحَكَ! فَاهْتِفْ بِاسْمِ الرَّجُلَيْنِ، وَاذْكُرْ مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمَا. فَفَعَلْتُ، وَخَرَجَ نفس هذا الرَّجُلُ يجرى إِلَيْهِمَا، فَوَجَدَهُمَا فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُمَا: إِنَّ رَجُلًا مِنْ

الْخَزْرَجِ الْآنَ يُضْرَبُ بِالْأَبْطَحِ وَيَهْتِفُ بِكُمَا، وَيَذْكُرُ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمَا جِوَارًا، قَالَا: وَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، قَالَا: صَدَقَ وَاللَّهِ، إِنْ كَانَ لَيُجِيرُ لَنَا تِجَارَنَا، ويمنع ظلمنا بِبَلَدِهِ. قَالَ: فَجَاءَا فَخَلَّصَا سَعْدًا مِنْ أَيْدِيهِم.

وفي رواية أنه نادي باسم العاص بن وائل " والد عمرو بن العاص السهمي " فسمعه رجل ممن يضربونه، وهو عدي بن قيس السهمي، فتوقف وقال:

هتف باسم ابن عمي، واللّه لا يصل إليه أحد منكم، فكفوا عنه.

وكلا الروايتين تظهران المروءة والنخوة العربية وحفظ المعروف بين الناس.

ونشير هنا لموقف آخر كريم للمطعم بن عدى فإنه بعد عودة النبي من الطائف في شوال من السنة العاشرة من الهجرة، وقد لقي منهم ما لقي من إيذاء وضرب بالحجارة، فلما وصل قرب مكة أرسل إلى المطعم بن عدي يسأله أن يدخل في جواره (حمايته)، فقال المطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه، فقال: **تلبسوا السّلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمدًا، وقام فنادى يا معشر قريش إني قد أجرت محمدًا، فلا يُهِجْه أحد منكم**. فانتهى النبي محمد إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته والمطعم بن عدي وولده محيطون به.

وكان الرسول يذكر المطعم بن عدى بالخير بسبب هذا الموقف وغيره، فقد قال صلى الله عليه وسلم عنه وقد نظر للأسرى من المشركين يوم بدر: **لو كان المطعم بن عدى حياً ثم كلمنى في هؤلاء النتنى (الأسرى) لتركتهم له** رواه البخاري.

قال ابن الأثير" : وأصبح المطعم قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه فدخلوا المسجد، فقال له أبو جهل: أمجير أم متابع؟، قال: بل مجير، قال: قد أجرنا من أجرت" .ونشير أيضاً إلى أن المطعم بن عدى كان من أشدِّ من قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم ومن معهم من المسلمين حين حصروهم في الشعب.

اختلف المؤرخون في شهود سعد بن عبادة بدراً، فقال البخاري: إنه شهدها، وقال آخرون بل كان يتهيأ للخروج إلى بدر ويأتي بيوت الأنصار يحرضهم على الخروج فنهشه ثعبان فلم يستطع أن يخرج فأقام، وحتى لو صحت الرواية الثانية التي تقول إنه لم يشهدها فإنها تؤكد أنه كان حريصاً عليها، بل ويحرض الناس على الخروج لولا العذر القهرى له، ولذا ضرب له رسول الله ﷺ بسهمه وأجره فكأنه شهدها. ولكنه شهد أحداً والخندق وكافة المشاهد بعد ذلك.

وفي غزوة الخندق اقترح رسول الله ﷺ أن يعطى لعيينة بن حصن سيد غطفان المتحالف مع قريش ضد المسلمين ثلث ثمار المدينة مقابل أن ينصرف ومن معه من غطفان، واستشار رسول الله ﷺ سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، سيدا الأوس والخزرج دون سائر الناس فقالا له: يَا رَسُولَ اللهِ أَمْرًا تُحِبّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَك اللهُ بِهِ لا بُدّ لَنَا مِن الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، واللهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إلا لأَنّنِي رَأَيْتُ العَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وتكالبوا عليكم مِنْ كُلّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ ؛ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

يَا رَسُولَ اللّه، قَدْ كُنّا نَحْنُ وَهَؤُلاءِ القَوْمِ عَلَى الشّرْكِ بِاللّه، وَعِبَادَةِ الأَوْثَانِ لا نَعْبُدُ اللّهَ وَلا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إلا قِرًى (ضيافة) أَوْ بَيْعاً، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللّهُ بِالإِسْلامِ، وَهَدَانَا لَهُ، وَأَعَزّنَا بِك وَبِهِ نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا؟ وَاللّهِ مَا لَنَا بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللّهِ لا نُعْطِيهِمْ إلا السّيْفَ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ.

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ: فَأَنْتَ وَذَاكَ. ثم تناول سعد بن معاذ الصحيفة التي كتب فيها الاتفاق المبدئي فمحا ما فيها وقال: ليجهدوا علينا.

في يوم فتح مكة أَعْطَى رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم الراية إلى سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، فَلَمّا مَرّ سَعْدٌ بأبي سفيان وكان قد أسلم حديثاً، فنَادَى: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلّ اللهُ قُرَيْشًا، فَلما أَقْبَلَ رَسُولُ اللهِ صلي الله عليه وسلم نَادَاهُ أبو سفيان: يَا رَسُولَ اللهِ أَمَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِك؟ زَعَمَ سَعْدٌ وَمَنْ مَعَهُ حِينَ مَرّ بِنَا أن الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلّ الْحُرْمَةُ، الْيَوْمَ أَذَلّ اللهُ قُرَيْشًا، وَإِنّي أَنْشُدُك اللهَ فِي قَوْمِك، فَأَنْتَ أَبَرّ النّاسِ وَأَرْحَمُ النّاسِ وَأَوْصَلُ النّاسِ.

فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: كذَبَ سَعدٌ!، (أي: أَخطأَ فيما قالَ، والعربُ يقولونَ كذَبَ موضِعَ أخطأْتَ):

الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ، الْيَوْمَ أَعَزّ اللهُ فِيهِ قُرَيْشًا.

وقَالَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَعُثْمَانُ بْنُ عَفّانَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا نَأْمَنُ سَعْدًا أَنْ يَكُونَ مِنْهُ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ (تهور)، فأخذ رسول الله اللواء من سعد – وحرصاً منه صلى الله عليه وسلم على مكانة سعد ومنزلته، فقد دفع اللواء إلى ابنه قيس بن سعد بن عبادة في تصرف نبوى حكيم منه صلى الله عليه وسلم .

لما أسلم سعد، وصار نقيباً يوم العقبة هو والمنذر بن عمرو، وأبو دجانة، وكان هؤلاء الثلاثة هم أكابر بني ساعدة،صاروا يكسرون أصنام بني ساعدة بأنفسهم.

وكان لسعد نصيبٌ وافرٌ من دعاء رسول الله ﷺ في كثير من المواقف، ومنها هذا الموقف الذى يرويه قيس بن سعد بن عبادة. يقول: زارَنا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في منزلِنا فقالَ: السَّلامُ عليكُم ورَحمةُ اللَّهِ، فردَّ سعدٌ ردًّا خفيًّا، قال قيسٌ فقُلتُ: ألا تأذَنُ لِرَسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ؟ فقالَ: ذَرهُ يكثِرْ علَينا مِن السَّلامِ، فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: السَّلامُ عليكُم ورَحمةُ اللَّهِ، فردَّ سَعدٌ ردًّا خفيًّا، ثُمَّ قالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللَّهِ ثُمَّ رجَعَ رسولُ اللَّهِ واتَّبعَهُ سعدٌ فقالَ: يا رسولَ اللهِ إنِّي كنتُ أسمَعُ تسليمَكَ وأردُّ عليكَ ردًّا خفيًّا لتُكثِرَ علَينا منَ السَّلامِ، ومن البركة... ثم دخلوا البيت فقدم إليه زبيباً، فأكل النبي ﷺ، ولما فرغ دعا ﷺ له فقال:

أكَلَ طعامَكُمُ الأبرارُ، وأفطرَ عندَكُمُ الصَّائمونَ، وصلَّت عليكُمُ الملائكَةُ، وذكرَكُم اللَّهُ فيمَن عندَهُ صححه الألباني

ثم رفع رسول الله يديه وهو يقول:

اللهُمَّ اجعَلْ صلَواتِكَ ورَحمتِكَ علَى آلِ سعدِ بنِ عُبادَةَ

وكان سعد يوصي ابنه قيس فيقول: إذا توضأت، فأتم الوضوء، ثم صلِّ صلاة امرئ مودع ؛ ترى أنك لا تعود، وأظهِر اليأس من الناس ؛ فإنه غني، وإياك وطلب الحوائج إليهم ؛ فإنه فقر حاضر، وإياك وكل شئ يعتذر منه. وهذه الوصية وردت عن أكثر من صحابي، منهم سعد بن عبادة وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود، فربما أنهم جميعاً أوصوا بها.

وكان رسول الله ﷺ مع أصحابه يوماً إذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ، فَسَلَّمَ عليه، ثُمَّ أَدْبَرَ الأنْصَارِيُّ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: يا أَخَا الأنْصَارِ كيفَ أَخِي سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ؟ فَقالَ: صَالِحٌ (أي مريض، والعرب تعكس أحياناً الألفاظ السيئة للتفاؤل)، فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: مَن يَعُودُهُ مِنكُمْ؟ فَقَامَ، وَقُمْنَا معهُ، وَنَحْنُ بضْعَةَ عَشَرَ، ما عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ (لباس للرأس مثل الطاقية)، وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي في تِلكَ السِّبَاخِ حتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِن حَوْلِهِ، حتَّى دَنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ معهُ. رواه مسلم

وهى رواية تبرز مدى اهتمام النبي ﷺ بسعد وتقديره له.

لما نزل قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝٤ ﴾ قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَهَكَذَا أُنْزِلَتْ؟ وكأنه يرى خطأً ما في الآية!! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستنكراً: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَلَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَا تَلُمْهُ؛ فَإِنَّهُ رَجُلٌ غَيُورٌ، وَاللَّهِ مَا تَزَوَّجَ فِينَا قَطُّ إِلَّا عَذْرَاءَ، وَلَا طَلَّقَ امْرَأَةً لَهُ فَاجْتَرَأَ رَجُلٌ مِنَّا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا مِنْ شِدَّةِ غَيْرَتِهِ فَقَالَ سَعْدٌ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ الآية حَقٌّ، وَأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنِّي لَوْ وَجَدْتُ رجلا يزني بامرأة لَمْ يَكُنْ لِي أَنْ أُخْبِرَكُمْ، وَلَا أَهِيجَهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ؟ فَوَاللَّهِ لَا آتِي بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ منها.

فما لبثوا إلا يسيراً حتى جَاءَ هِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ وهو أيضاً من الخزرج من نفس عشيرة سعد بن عبادة فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي جِئْتُ الْبَارِحَةَ عِشَاءً مِنْ حَائِطِ (بستان) لِي كُنْتُ فِيهِ، فَرَأَيْتُ مَعَ أَهْلِي (زوجتى) رَجُلًا، فَرَأَيْتُ بِعَيْنَيَّ وَسَمِعْتُ بِأُذُنَيَّ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا جَاءَ بِهِ، فاجتمع عليه الخزرج وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة آنفاً وأنت الآن ستجلد لأنه ليس معك شهود!! فقال هلال: والله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِي فَرَجًا، فأنزل الله تعالى آيات اللعان بين الزوجين – في سورة النور: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ

أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٩ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ۝١٠ ﴾. فقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبْشِرْ يَا هِلَالُ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ فَرَجًا.

وفى بقية القصة أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ادْعُوهَا، فَدُعِيَتْ المرأة والرجل أيضاً. فَقَالَ الرسول لهما: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ، فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ؟ فَقَالَ هِلَالٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا قُلْتُ إِلَّا حَقًّا، وَلَقَدْ صَدَقْتُ. وقَالَتْ المرأة: كَذَبَ، فَقِيلَ لِهِلَالٍ: اشْهَدْ، فَشَهِدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لِمَنَ الصَّادِقِينَ، وَقِيلَ لَهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ: يَا هِلَالُ، اتَّقِ اللَّهَ ؛ فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ النَّاسِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمُوجِبَةُ الَّتِي تُوجِبُ عَلَيْكَ الْعَذَابَ فَقَالَ هِلَالٌ: لَا وَاللَّهِ لَا يُعَذِّبُنِي اللَّهُ عَلَيْهَا أَبَدًا كَمَا لَمْ يَجْلِدْنِي عَلَيْهَا، فَشَهِدَ الْخَامِسَةَ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَقِيلَ لَهَا: اشْهَدِي، فَشَهِدَتْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لِمَنَ الْكَاذِبِينَ، وَقِيلَ لَهَا عِنْدَ الْخَامِسَةِ: يَا هَذِهِ، اتَّقِي اللَّهَ ؛ فَإِنَّ عَذَابَ اللَّهِ أَشَدُّ مِنْ عَذَابِ النَّاسِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْمُوجِبَةُ الَّتِي تُوجِبُ عَلَيْكِ الْعَذَابَ قَالَ: فَبَكَتْ سَاعَةً ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ لَا أَفْضَحُ قَوْمِي، فَشَهِدَتِ الْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ، وَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تُرْمَى وَلَا يُرْمَى وَلَدُهَا، وَمَنْ رَمَاهَا وَرَمَى وَلَدَهَا جُلِدَ الْحَدَّ. أصل القصة في صحيح البخاري

أم سعد بن عبادة هي عمرة بنت مسعود، وكانت من المبايعات لرسول الله ﷺ وكان سعد بها باراً ومُحِباً فتوفيت بالمدينة ورسول الله ﷺ غائب عنها بدومة الجندل، وكان سعد معه في تلك الغزوة، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة قال له سعد: إن أمي قد ماتت وإني أحب أن تصلي عليها فأجابه الرسول وذهب إلى قبرها فصلى عليها وقد مضى على وفاتها شهر.

واستفتاه سعد في نذر كان على أمه فتوفيت قبل أن تقضيه فقال ﷺ: اقضه عنها. ثم سأله: هل تنفعها الصدقة إن تصدقت عنها. قال: نعم، قال سعد: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟، قَالَ: سَقْيُ الْمَاءِ. صحيح النسائي.. فتصدق سعد ببئر ماء عن أمه وصارت تسمى:

سقاية أم سعد.

انتقلت شمائل وأخلاق سعد بن عبادة كلها إلى ابنه قيس بن سعد بن عبادة حتى كان الصحابة يكادون يحجرون عليه من شدة كرمه كما في قصته يوم غزوة سيف البحر.

فقد بعث رسول الله أبا عبيدة بن الجراح في سرية من المهاجرين والأنصار إلى ساحل البحر وكانوا نحو 300 رجل فأصابهم جوع شديد حتى أكلوا ورق الشجر. وقالوا: لو لقينا عدوا ما كان بنا من حركة. وكان معهم قيس بن سعد بن عبادة، فمر برجل من جهينة معه جِمال فقال قيس: بعني هذه الجِمال التي معك وأوافيك أحمالا من تمر المدينة. فقال الجهني: والله ما أعرفك؟ قال قيس: أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دليم. قال الجهني: ما أكرم نسبك، إن بيني وبين أبيك صداقة، وهو سيد أهل يثرب.

فابتاع قيس منه خمس جمال مقابل أحمالا من تمر آل دليم، فقال الجهني: فأَشْهِدْ لي (أي أحضر شهودا)، فأشهد له نفرا من الأنصار والمهاجرين، وقال قيس: أشهد من تحب، فاستشهد عمر بن الخطاب، فرفض عمر أن يشهد. وقال: لا أشهد أبداً.. إن قيس هذا فقير، ولا مال له، إنما المال لأبيه. فقال الجهني:

والله ما كان سعد ليضيع ذمة ابنه في حمل من تمر،

فكان بين عمر وقيس كلام غليظ ثم أخذ قيس الجِمال ونحرها للجيش، ثم عزم على أن يشترى جمالا أخرى فجاءه عمر وأبو عبيدة فمنعوه من ذلك. فقال قيس:

أترى أبي وهو يقضي الدين للناس، ويحمل الكلَّ، ويُطعم في المجاعة لا يقضي عني وسقا من تمر لقوم مجاهدين في سبيل الله؟

فكاد أبو عبيدة أن يلين، ولكن عمر اشتد حتى أنعم الله عليهم بحوت عظيم من البحر فكانوا يأكلون منه حتى رجعوا إلى المدينة.

وبلغ سعد بن عبادة ما أصاب القوم من المجاعة، قال: إن يك قيس كما أعرف فسوف ينحر للقوم. فلما قدم قيس سأله أبوه: ما صنعت في مجاعة القوم؟ قال: نحرت. قال سعد: أصبت، ثم ماذا؟ قال: نحرت. قال أصبت ثم ماذا؟ قال: نُهيت. قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة أميري، وعمر بن الخطاب زعم أنه لا مال لي وإنما المال مال أبي، فقلت: أبي يقضي عن الأباعد فكيف يتأخر عن مساعدتى. قال سعد بن عبادة: فلك أربع "بساتين"، وكتب له كتاباً بذلك، وقدم الجهني مع قيس فأوفاه ما وعده. فبلغ النبي فعل قيس فقال ﷺ:

أنه في بيت جود

وكان قيس بن سعد يستدين أحيانا ليطعم الناس، فقال أبو بكر وعمر إن تركنا هذا الفتى أَهْلك مال أبيه، فمشيا في الناس بذلك، فقام سعد

ابن عبادة فقال: من يعذرني من ابن أبي قحافة وابن الخطاب يبخلان على ابني.

ويروى أنه وقفت امرأة على قيس بن سعد فقالت: أشكو إليك قلة الفئران في بيتي (كناية عن شدة الفقر وفراغ البيت من الطعام). فقال: ما أحسن هذه الكناية!.

املئوا لها بيتها لحماً وخبزاً وسمناً.

ومن الجدير بالذكر أن قيس بن سعد بن عبادة هو الذى رافق بنت المقوقس وردها إلى أبيها بعد أن وقعت في الأسر، إكراماً لأبيها الذى أرسل إليه الرسول ﷺ رسالة قال فيها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم. من محمد رسول اللّه إلى المقوقس عظيم القبط: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعوة الإسلام، أسلمْ تسلمْ يؤتك اللّه أجرك مرتين.

فأحسن المقوقس الرد وأرسل هدية لرسول الله كان من ضمنها السيدة مارية القبطية التي تزوجها الرسول ﷺ وأنجب منها ابنه إبراهيم. فلما فتح عَمْرُو بْنُ العَاص مدينة بلبيس، وأُسِرَ من القبط خلقٌ كثيرٌ، كان في الأسرى أرمانوسة، ابنة المقوقس، عظيم القبط.

وكانَ المقوقس زوّجَ ابنته أرمانوسة من قسطنطين بن هرقل، وجهزها بأموالها وجواريها لتسير إليه حيث يقيم في مدينة قَيْسَارِية بفلسطين،

وفي أثناء الطريق وصلت إلى مدينة بلبيس، فوقعت في الأسْرِ هي ومن معها. فقال عمرو بن العاص لأصحابه: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾، إن هذا الملك قد علمتم أنه كاتبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث إليه هدية،

ونحن أحق بمن كافأ عن نبيه صلى الله عليه وسلم هديته،

وقد رأيتُ أن نرد إلى المقوقس ابنته وما أخذنا معها.

فاستصوبوا رأيه فبعث بها عمرو مُكَرَّمَة مع جميع ما معها وأرسل معهم نائبه على الجيش قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه تكريماً لأبيها ورداً لهديته لرسول الله ﷺ.

وتنازع الناس من هو أجود الناس؟ وأرادوا أن يختبروا كرم قيس بن سعد فبعثوا له رجلا فطرق الباب فقالت له الجارية هو نائم، فما حاجتك؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به. قالت الجارية: فحاجتك أيسر من إيقاظه.. **هذا كيس فيه 700 دينار ما في دار قيس مال اليوم سواها، وسر إلى مرابط الإبل فستجد غلامين لنا فخذ راحلة مرحلة (أي جملاً بما عليه)، وخذ عبداً، وامض لشأنك.**

فلما قام قيس من نومه أخبرته الجارية بما فعلت، فأعتقها سروراً بتصرفها. وقال:

ألا نبهتني فكنت أزيده من أمتعة بيتنا فلعل ما أعطيته لم يقع حيث أراد !!.

وحين مَرِض قيس بن سعد بن عبادة استبطأ إخوانه لأنهم لم يأتوا ليزوروه في مرضه، فقيل له: إنَّهم يستحيون ممَّا لك عليهم مِن الدَّيْن، فقال:

أخزى الله مالاً يمنع الإخوان مِن الزِّيارة.

ثمَّ أمر مناديًا فنادى: مَن كان عليه لقيس بن سعد حقٌّ فهو منه بريء، بمعنى أنه تنازل لهم عن كل ديونه. تقول الرواية: فانكسرت سلالم بيته يومها لكثرة مَن زاره!!. وفى هذا إشارة إلى كثرة من كان يقرضهم.

كان سعد شديد الصراحة لا يستحي أن يجهر بشيء اقتنع به حتى لو خالفه الناس كلهم؛ ومن ذلك موقفه في آيات سورة النور كما رأينا، وكذلك موقفه مع رسول الله ﷺ في أعقاب غزوة حنين حين قسم رسول الله غنائم حنين كلها في أشراف قريش الذين دخلوا الإسلام حديثا يتألف بذلك قلوبهم.

فقد فر جيش هوازن من المعركة تاركاً وراءه عشرات الآلاف من الأبقار والأغنام والإبل، فأعطى النبي لأبي سفيان يومها مائة أوقية من الذهب ومثلها من الفضة، وأعطى صفوان بن أمية– وكان لايزال كافراً غير أن النبي كان قد استأجر منه سلاحاً قبل الغزوة كما ذكرنا في الكتيب الخاص بخالد بن الوليد– فأعطاه مقابل السلاح مائة أوقية من الذهب ومثلها من الفضة ومائة ناقة وظل يعطيه حتى أن صفوان بن أمية كان يقول: فمازال محمد يعطيني حتى أحببته (وأسلم بعدها). وفى ذلك يقول سيدنا أَنَسٌ بن مالك:

إنْ كانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ ما يُرِيدُ إلَّا الدُّنْيَا، فَما يُسْلِمُ حتَّى يَكونَ الإسْلَامُ أحَبَّ إلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَما عَلَيْهَا.

ولذلك قسم الرسول الغنائم كلها في هؤلاء الذين أسلموا حديثا، حتى بقى نصيب النبي من الغنائم (الذى يسمى الخُمس وكان ﷺ ينفق منه على أهله، وينفقه على الفقراء، وعلى من لا يستطيع حضور

المعارك، وغير ذلك من وجوه الخير) وكان الخمس يوم حنين عبارة عن إبل تملأ ما بين جبلين، فنظر أحد الأعراب إليها فقال له النبي : "أتعجبك؟"، قال: "نعم"، قال: "هي لك."

ومعلوم أنه ما سُئِلَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ علَى الإسْلَامِ شيئًا إلَّا أَعْطَاهُ، فذهب الرجل إلى الأبل وهو يلتفت غير مصدق فأخذها كلها يسوقها، ورجع إلى قومه فَقالَ:

يا قَوْمِ أسْلِمُوا، فَوَاللَّهِ إنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً، ما يَخَافُ الفَقْرَ.

صحيح مسلم

والعجيب أن الرسول لم يعط أحداً من الأنصار مطلقاً من الغنائم في هذه الغزوة.

فسمع سعد بن عبادة قومه يتهامسون متذمرين ولا يجرؤون على مخاطبة الرسول ﷺ ولكن سعداً ليس مثلهم، وليس بالرجل الذي يكتم في صدره، فذهب لرسول الله ﷺ، وسعد يومئذ سيد الأنصار وحده بعد وفاة سعد بن معاذ فَدَخَلَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ (يقصد الأنصار) قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ (لهم عليك عتاب) فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ (الغنائم) الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ سعد في صراحة ملفتة: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي (أي

أقول مثلما يقولون)، فقَالَ ﷺ : فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ، فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ.

فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ، أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟، قَالُوا: بَلى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ. قَالَ: أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ،

أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ. فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا. صححه الألباني

لما مات رسول الله اجتمع الأنصار في سقيفة بنى ساعدة يريدون أن ينصبوا سعد بن عبادة خليفة، وقالوا: منا أمير ومنكم أمير، كما في القصة المشهورة الذى ذكرناها في الكتيب الخاص بسيدنا أبي بكر.

وقال أبو عبيدة يوم السقيفة:

"يا معشر الأنصار، إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدَّل وغيَّر.

فلما تكلم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة رجع الأنصار إلى الصواب كعادتهم، وتزاحموا على أبي بكر يبايعونه، ونسوا سعد بن عبادة حتى قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ: قَتَلْتُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ (أي خذلتموه). فقال عمر: قَتَلَ اللَّهُ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ صحيح البخاري،

وعمر رضى الله عنه يقصد بهذه العبارة أنه إذا كان ثمن اتحاد المسلمين وعدم تفرقهم هو خذلان سعد فليكن.

وتلطف أبو بكر بسعد بن عبادة فقال: لقد علمتم أن رسول الله قال: لو سلك الناس واديًا، وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعب الأنصار»، وَلَقَدْ عَلِمْتَ يَا سَعْدُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ قَالَ وَأَنْتَ قَاعِدٌ: قُرَيْشٌ وُلاةُ هَذَا الأَمْرِ، فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ رضيَ اللهُ

عنهُ: صَدَقْتَ، نَحْنُ الوُزَرَاءُ وَأَنْتُمُ الأُمَرَاءُ مسند أحمد والمعنى في الصحيحين، وتتابع القوم على البيعة وبايع سعد.

وهذه أصح الروايات في هذا الموضوع علما بأن كتب التاريخ تمتلئ بروايات موضوعة تتهم سعداً برفض البيعة، بل والتهديد بالحرب بين المهاجرين والأنصار، حتى وصل بهم التشويه إلى اتهام عمر بن الخطاب بقتله بعد ذلك وجعلوا هذا أول اغتيال سياسي في الإسلام، إلى غير ذلك من الأكاذيب والقصص الوهمية التي تؤلف من أجل تشويه بعض الصحابة، لاسيما تشويه أبي بكر وعمر رضى الله عنهما.

وقد رحل سعد بن عبادة مع جيوش المجاهدين الذين رحلوا إلى الشام ومات هناك في مدينة بُصرى على أطراف الشام بعد قدومه بشهور – رحمه الله.

قال سعد بن عبادة رضي الله عنه:" لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مُصْفِح (أي بحد السيف بقصد القتل وليس بعرضه للتأديب)، فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: " أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ فَوَالله لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ وَالله أَغْيَرُ مِنِّي".(رواه البخاري ومسلم). وقال:" لَا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنْ الله وَلِذَلِكَ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ". (رواه البخاري ومسلم).

إن الغيرة خلق كريم جُبل عليه الإنسان السوي الذي كرمه ربه وفضله، وقد أعلى الإسلام قدرها وأشاد بذكرها، ورفع شأنها حتى عدَّ الدفاع عن العرض والغيرة على الحريم جهادا يبذل من أجله الدم، ويضحى في سبيله بالنفس، ويجازى فاعله بدرجة الشهيد في الجنة. ففي الحديث: " ومن قتل دون أهله فهو شهيد". رواه الترمذى وقال حسن صحيح

- لكن الاعتدال في الغيرة مطلوب فقد ثبت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال: "إن من الغيرة ما يحب الله و منها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة و أما الغيرة التي يبغض الله فالغيرة في غير الريبة ". (رواه أحمد وغيره وحسنه الألباني)

- فإذا زادت الغيرة عن حدها كانت نقمة على الشخص وعلى من حوله، فكثير مما يسمى جرائم العرض والشرف قد ترتكب بسبب الشائعات.

- وبعض الأزواج مريض بمرض الشك المر الذي يحيل الحياة الزوجية إلى نكد لا يطاق ولذلك " نهى النبي – صلي الله عليه وسلم – أن يطرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم ويطلب عثراتهم". رواه مسلم.

- وكما يغار الرجل على أهله ينبغي عليه أن يقدر غيرتها عليه، سأل رسول الله صلي الله عليه وسلم عائشة يوماً : " أغرتِ؟ فتعجبت وقالت: ومالي أن لا يغار مثلي على مثلك " (رواه مسلم)

- كما أن ترك الغيرة مذموم بل يمنع صاحبه من دخول الجنة ففي الحديث: " ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا: الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر". قالوا يا رسول الله: أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: " الذي لا يبالي من دخل على أهله ". قلنا: فما الرجلة من النساء؟ قال: " التي تشبّه بالرجال ". صححه الألباني

- وقال ابن القيم: (ومن عقوبات الذنوب: أنها تطفئ من القلب نار الغَيْرة، كلما اشتدت ملابسته للذنوب أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدا حتى لا يستقبح بعد ذلك القبيح لا من نفسه ولا من غيره ولا في أهله).